تحقيقٌ لغويٌّ في تراكيب لغويّةٍ
((مقاربةٌ في الأصلِ))

م. د. علاء حسين خضير المنصوريّ
مديرية تربية محافظة بابل/
almansori. alaa78@gmail.com

A linguistic investigation of linguistic structures (Original approach)

Lecturer Dr. Alaa Hussein Khudair Al-Mansouri.
Directorate of Education of Babylon Governorate

الملخَّص:

اعتقد أغلب المهتمّين والباحثين في تراكيب اللغة العربية وأصولها أنّ لغتنا العربية الفصحى بمسائلها المختلفة ولا سيّما النحوية منها والصرفية لا قرابةَ لها من سواها من اللغات المتجذرة في القدم كالأكدية والآشورية والعبرية والسريانية وغيرها، وأنّ لكلّ منها تراكيب مخصوصة يبعّدها من نظيرتها من سائر اللغات، لذلك أردت في مواطن هذا البحث توضيح فكرة مضمونها أنّ هناك كثيرًا من الاستعمالات اللغوية في لغتنا العربيّة الفصحى لها أصول في لغات الأقوام العتيدة التي سبقت عربيتنا الفصحى، وأنّ قسمًا منها ظلّ بتركيبه وأصله القديم فيها ولم يَشُبْهُ أيُّ تغييرٍ، بينما وجدنا قسمًا آخر منها، قد طرأ عليه تغيير في بنيته وتركيبه وأصوله قبل أنْ يستقرّ على حاله في لغتنا الفصحى الخالدة.

الكلمات المفتاحية: تحقيقٌ، لغويٌّ، تراكيب، لغويّة، مقاربةٌ، الأصل.خلع الأدلة، المعاني المقاربة، الحال والاستقبال.

Abstract:

Most of those interested and researchers in the structures of the Arabic language and its origins believe that our language is modern Arabic with its various issues and does not contain new and morphological languages that are not related to other languages rooted in ancient times such as Akkadian, Assyrian, Hebrew, Syriac and others, and that each of them has specific structures for obtaining languages, I wanted. In the areas of this research, there is an explanation of the idea of its content, a change in its structure, structure, and origins, before it is settled on its condition in our modern, timeless language.

Keywords: A linguistick, Investigation, structures, linguistic, original, approach.

(المقدّمة)

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ والسلام، على أكمل خلقه محمدٍ وآله الطيّبين المطهّرين، ومن والاهم إلى يوم الدين، وأمّا بَعدُ:

بعد التتبّع المتواضع في كتب اللغة وجدتُ أنّ هناك نوع صلة بين لغتنا العربية لغتنا العربية الفصحى واللغات القديمة التي سبقت لغتنا المعاصرة، فلأجل ذلك رمتُ البحث في هذا المضمار للتعرّف على أنواع الصلات بينهما، والمستويات اللغوية التي قد طالها التأثّر بينهما، محققّين في حجم هذا التأثّر بين تراكيبها، وهل انتقلت بعض تراكيب اللغات القديمة إلى العربية الفصحى بنفسها، أو أصابها بعض التغيير والتطوير؟، وهل كان ذلك مستساغًا في لغتنا، أو عُدّ من التراكيب

الشاذّة أو النادرة؟، وما موقف علماء اللغة على مختلف مشاربهم ومذاهبهم اللغوية من تلك التراكيب اللغوية؟، وهل وُظّف هذا التأثّر والتأثير في فصيح الكلام شعرًا ونثرًا، أو اقتصر الأمر على بعض الشواهد فحفظت ولم يقس عليه شيء آخر؟، كلّ هذه الأسئلة والفرضيات أردنا أن نجد لها حلولاً علمية عن طريق التحقيق والتقصّي فيما وصل إلينا من كتب اللغة وأصولها، لذا اقتضت خطة البحث بناءً على ما تقدّم أنْ تكون مقسّمة على ثلاثة مباحث، وقد رتّبتها بحسب كثرة مسائلها وأهمّيتها، فكانت على النحو الآتي:

المبحث الأوّل: تناولتُ فيه التراكيب النحوية التي قد تخلّلها شيءٌ من تراكيب اللغات القديمة.

والمبحث الثاني: سجّلتُ فيه التراكيب الصرفية التي قد طالها ذلك التأثّر والتأثير.

والمبحث الثالث: كان للهجات العرب التي بقي فيها أثرٌ من اللغات القديمة.

وقد سبق كلّ تلك المباحث تمهيد الذي تناولت فيه تأصيلاً للغات القديمة، ومدى تأثّر بعض تراكيب العربية بها، متبعًا إيّاها بخاتمة قد دوّنت فيها أبرز ما توصلنا إليه في هذا البحث، فضلاً عن قائمة بالمصادر الأصيلة وأبرز المراجع الحديثة المعتمدة في مضامين بحثنا الذي بين أيدينا.

وأودّ أنْ أشير إلى أنّ منهج البحث كان يقتصر في مباحثه كلّها على ذكر بعض المسائل؛ لغرض بيان فكرته والهدف المرجوّ منها، لا أنْ نذكر فيه كلّ المسائل التي يشملها موضوع البحث، تجنبًا للإطالة والتوسعة المفرطة، التي كلّ منها سبب في إبعاد أيّ بحث من قائمة الأبحاث الرصينة علميًا، معتمدين في مسائل البحث التأصيل لفكرة كلّ مسألة منها من مدوّنات اللغة بمختلف مشاربها؛ من أجل تبيين المقاربة بين تراكيب اللغات القديمة وبين تراكيب لغتنا العربية الفصحى، مرتّبًا تلك المسائل في هذا البحث على نظام الألفباء، وفي ختام هذا أرجو التوفيق في كتابة هذا البحث وفي مناقشة مسائله، وما التوفيق إلّا من عند الله، عليه توكّلت، وإليه أنيب.

((التمهيد))

(اللغة العربية الفصحى وصلتها باللغات القديمة))

تنوّعت اللغات القديمة في غابر الأزمان فتضمّنت مجموعة اللغات المنتمية إلى شجرة اللغات المسمّاة بـ (السَّاميَّةِ القديمةِ) كالجزرية، والعبرية، والكنعانية، والسريانية، وهو مصطلح أطلقه شلوتسر الذي يعدّ من علماء ألمانيا المشهورين في حقل اللغة، هذا المصطلح ارتشفه العالم من جداول قُسّمت فيها الشعوب القديمة التي سبقت الناطقين بالعربية الفصحى إلى مجموعات بحسب لغاتها الناطقة بها؛ إذ أُرجعت اللغات القديمة هذه إلى أحد أبناء النبي نوح (عليه السلام) وهو (سام)، وقد سكنت القبائل الناطقةِ بهذه اللغات مناطق اليمن، وشبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام، والعراق، والحبشة، موزّعين على محورين: أحدهما: شمالي غربي، وقد حوى اللغتينِ الكنعانية. والآخر: جنوبي غربي، وقد تضمّن لغات مختلفة **كاللغة العربية**، والسبئية، والحبشية، والمعينية، والحميرية[١].

وقد عُثر على إمارات لغوية في الكتب اللغوية وسواها المؤلفة في القرون الأولى من مجيء الإسلام فضلاً عن التي تلتها تلك الإمارات تدلّ دلالة واضحة لا لبس فيها على أنّ علماء العربية،

قد فطنوا إلى وجود علاقة أو صلة أو وشائج، تجمعُ عربيتهم بسواها من اللغات القديمة الجزرية، كالسريانية، والكنعانية، فضلاً عن اللغة العبرية، ويبدو أنّ أوّلَ من ألمحَ إلى وجود وشائج أو صلة لغويةٍ بين تراكيب اللغات القديمة وأصولها وبين اللغة العربية هو **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)**، الذي ذكر في الأصل (كَنَعَ): ((وكنعان بن سام بن نوح إليه يُنسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية)) (٢).

وممن فطن إلى هذه الصلة كذلك **أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)**، الذي أجرى موازَنَة بين أداة التعريف في اللغة السريانية التي هي عبارة عن فتحة طويلة في أواخر الكلمات فيها، وبينَ (ال) التعريف في اللغة العربية(٣).

وقد أدرك **أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ)** وجود صلة بين بعض تراكيب اللغة الحبشية اللغوية، وبين تراكيب اللغة العربية، مصرّحًا: بأنّ قَوْلَهمْ: (هِنْدِيٌّ) وَ(هِنْدُكِيٌّ) كلاهما فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى بلاد الْهِنْدِ، فَتأوّله علماؤنا عَلَى أَنَّ حرف الْكَافَ لَيْسَ بزَائِدٍ؛ إذ لَمْ تَثْبُتْ زِيَادَتُهَا فِي مَوْضِعٍ مِنَ الكلام العربي، فَيُخرّج هَذَا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذاك مِنْ قبيل (سَبَطَ) وَ(سَبْطَرَ)، وَالَّذِي حملَهُ عَلَيْهِ أَنَّ المتَكَلِّمَ بِهَذَا مِنَ الأعرابِ، إنْ كَانَ قد نطق بِهِ، فَإِنَّمَا دخل إِلَيْهِ مِنْ لُغَةِ الأقوام الْحَبَشِية، لِقُرْبِ الْعَرَبِ مِنَ تلك الأقوام فضلاً عن دُخُولِ كَثِيرٍ مِنْ لُغَاتِ بَعْضِهِمْ فِي لُغاتِ بَعْضهم الآخر، وَالْحَبَشَةُ إِذَا نَسَبَتْ إلى شيء، أَدخلتْ في آخِرِ مَا تَنْسُبُ إِلَيْهِ كَافًا مَكْسُورَةً تليها يَاءٌ، لذا قالوا فِي النَّسبة إِلَى (قِنْدِيٍ)، قالوا: (قِنْدِكِيٌّ)، وفي النسبة إِلَى (شَوَاءٍ)، قالوا (شَوَكِيٌّ) وَكذلك في النسب إِلَى (الْفَرَسِ)، قالوا: (الْفَرَسْكِيُّ)، وَرُبَّمَا أَبْدَلَتْ تَاءً مَكْسُورَةً، فيقولون فِي النَّسبة إِلَى (جَبْرَى)، يقولون: جَبَرْتِيٌّ(٤).

وليس بالضرورة أن تعني هذه الإمارات اللغوية، أنّ علماء العربية في القرون المتقدمة، قد عرفوا تراكيب اللغات القديمة التي سبقت العربية بصورة عميقة، وأنهم وظّفوا تلك المعرفة لإجراء موازنة أو مقاربة بين تراكيب لغتهم العربية وغيرها من نظائرها القديمة كالسبئية، والحبشية، والمعينية، والحميرية، وإنّما كانت هي إشارات وآراء سديدة وقيّمة مبثوثة في كتبهم هنا وهناك.

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ علماء العربية على الرغم من أنّهم لم يحلّلوا تراكيب كلام العرب ويقاربوها مع أصول اللغات القديمة التي سبقت العربية(٥)، فقد حَوَتْ مدوّناتهم بعض الإشارات والتحليلات التي عضدّتها الأبحاث اللغوية في العصر الحديث فيما يخصّ بعض التراكيب اللغوية والإلماح إلى نوع من وشائج الصلة بين عربيتهم واللغات القديمة، وهذا يدلّ على سعة ثقافتهم وحبّ اطّلاعهم على ثقافات الأمم الأخرى.

((المبحث الأول))

((المسائل النحوية))

رصدنا في هذا الموضع من البحث تراكيب نحوية، دار حولها خلاف كبير بين نحويي الكوفة ونحويي البصرة في تحليل ماهيّتها والوقوف عند حقيقتها، فلم يتوصّلوا إلى حلّ سواء بينهما، بيد أنّ الدراسات الحديثة التي اختصّت بدراسة النقوش القديمة للأقوام التي سبقت الناطقين باللغة العربية ألمحت إلى نوع من المقاربة بين تراكيب نحوية في عربيتنا وفي اللغات القديمة،

وعن طريق التحقيق فيها توصّلنا إلى تحليل مناسب لتلك التراكيب بعيدًا عن آراء علماء المدرستين الكوفية والبصريّة، وكان من تلك المسائل أو التراكيب – وقد رتّبتها على وفق الحروف الهجائية- ما يأتي:

١- حقيقة (ال) التعريف في تركيب العربية:

تستعمل الأداة (ال) في تركيب الكلام العربية في تعريف الأسماء النكرات على اختلاف أنواعها، كقولهم في: (غلام- الغلام) وفي (رجل- الرجل)، وفيها دار خلاف من حيث البنية بين النحويين على اختلاف مذاهبهم، أتكون (ال) بأكملها أم تكون اللام من غير الهمزة؟، والذي اشتهر عندهم أَنَّ (ال) بأكملها هي أداة التعريف(٦). بيد أنّ **سيبويه** فرأى أنّ (اللام) لوحدها هي المعرّف، وتابعه على ذلك ابن هشام الأنصاري(٧)، وقد اختلف علماء العربية في أَلِف (ال) من حيث الزيادة والأصالة، فقال قسم منهم: إنّها زائدة، فقد نقل **سيبويه**: أنّ الخليل كان يرى أن الألف واللام اللتين يعرّف الاسم بهما في الكلام، إنّما هي حرفٌ واحد كـ (قد)، وأنّه ليست إحداهما منفصلة من الأخرى(٨)، وذهب فريق آخر منهم إلى القول بزيادتها(٩).

ووظيفة (ال) الأخرى - فضلاً عن التعريف- هي إتمام الاسماء، كالتنوين والإضافة اللذين يعدّان من تمام الأسماء أيضًا، لذلك أنتَ تلاحظ أنّها تتعاور المواضع معهما، وقد نُقل: أنّ التنوينَ باختلاف أنواعه هو أكثر قِدمًا من (ال) التعريف في اللغة العربية، إذ إنَّ التنوينَ قد وجد مستعملاً في أقدم النصوصِ المحقّقة التي جاءتنا من اللغات الجزَرية القديمة، كاللغة الأوغاريتية التي استعمل أهلها ما اصطلح عليه بالتنوين، واللغة الأكدية التي استعمل فيها ما يسمّى بالتمييم(١٠).

و لم تكن أداة التعريف في اللغات القديمة على ضرب واحد، وإنّما وجدت سبيلاً للتنوّع بين لغة وأخرى، وسوف نطيل الكلام فيها قليلاً؛ لنعرف بدّقة ما اللغة التي كانت هي القريبة أو الأصل لاستخدام الأداة (ال) المعرّفة في تراكيب الكلام العربي؟، فقد عُثر في النقوش القديمة على أنَّ اللغة العبرية كانت قد وظّفت (هل) كأداة تعريف فيها، ثم تحوّلت فيها إلى (الهاء) لوحدها، بعدَ أنْ زالت (اللام) منها في تعبيراتهم، ومن ثم كانت (الهاء) هذه أداة للتعريف في اللغة العربية البائدة، ونقصد بذلك (اللغة اللحيانية)، و(اللغة الثمودية)، بيد أنّ اللغة العربية الجنوبية استعملت (أم)، و(أن) كأداتي تعريف فيها، وما زالت أداتا التعريف هاتانِ مستخدمتين في قسم من أنحاء اليمن، وأمّا في النقوش اليمنية القديمة، فقد جاءت (الهاء) نائبة عن الهمزة في تراكيبهم، فقالوا: هن بدلاً من (أن).

ولا يشي كلّ ذلك بأنّ أداة التعريف في اللغات القديمة هي أصيلة، وأنّها كانت مستعملة في اللغة الأم؛ إذ إنّ من اللغات القديمة كاللغة الأوغاريتية واللغة الأكدية كانت قد خلت من استعمال أداة للتعريف في تراكيب كلامها(١١).

ورأى الأستاذ **الدكتور غالب المطلبي** أنّ النقوش اللحيانية القديمة كان قد احتوت في بعض تراكيبها اللغوية على (الألف) لوحدها كأداة للتعريف، وشوهد في النقوش الثمودية الشمالية القديمة نصٌّ مهمّ كان قد استُخدمت فيه أداة التعريف (ال) بدلًا من الهاء أداة التعريف، ولوحظ في النقوش الصفوية أنّ الناطقين بها كانوا يستعملون سوى (الهاء) أداة تعريف، واستعملت في النقوش النبطية نفس أداة التعريف المستعملة في اللغة الآرامية، التي هي عبارة عن (ألف) تكون في آخر الكلمة المعرّفة(١٢).

ويظهر من الكلام المتقدّم أنّ أداة التعريف في تراكيب الكلام العربيّ فيها مقاربة مع أداة التعريف في أصول اللغات القديمة وتراكيبها، وليست بمقتبسة من أيّ لغة لا تنتمي إلى سلالتها، ولا سيّما أنّها لا تزال أداة إشارة قديمة قد استعملت في طائفة أو في قسم من كلماتها.

٢- ألف (أنا) وتاء (أنْتَ) بين الأصالة والزيادة:

جنح علماء المدرسة البصريّة إلى زيادة الألف في الضمير (أنا)، وعلّة زيادتها أنّه قد جيء بها لغرض التمييز بين (أنْ) الضمير وبينَ سائر الأدوات. ورأى علماء مدرسة الكوفة أنَّ الضمير هو (أنا) بأصواته كلّها، وليس هناك أيّ حرف زائد فيه، وقد ذُكر فيه بعض اللغات، فقبيلة تميم وقسم من بني ربيعة قيس يبقون على ألفه في أثناء درج الكلام وكذلك عندما يقفون عليه، بينما الحجازيّون يثبتون الألف فيه عند الوقف، ولا يثبتونها عند الوصل(١٣).

ويبدو أنّ ما ذهب إليه علماء الكوفة هو الأقرب إلى واقع الاستعمال اللغوي، فقد أثبتت الدراسات الحديثة المختصة باللغات القديمة أنّ الضمير في اللغة الحبشية هو: (ana) بمعنى: (أنا) وهو مقارب من حيث الأصل للضمير العربي (أنا)، أمّا في اللغة الآرامية القديمة، فهو: (ena)، ويعني: (إنا)، وهذا لا يبعد كثيرًا بأصواته عن أصوات الضمير العربي (أنا) أيضًا، وزد على ذلك أنّ العربي (أنا) يوازي في كلّ من اللغتين القديمتين المعينية والسبئية:(أناكوanaku)، وأنتَ تلاحظ المقاربة في التركيب والأصل بين تراكيب تلك اللغات وبين تركيب العربية؛ إذ احتفظت جميعها بحروف الضمير الثلاثة أو أصواته(١٤).

وكذا الحال في ضمير العربية (أنتَ)، فقد كانت لعلماء المدرستينِ الكوفية والبصرية آراءٌ فيه مختلفة، فذهب البصريونَ إلى كون (أنْ) فيه هي الضمير لوحده، وأنّ التاء منه قد لحقته لأجل أنْ تدلّ على المخاطب في الكلام، كـ (كاف الخطاب)، وبينما جنح علماء الكوفة إلى القول بأنَّ الضمير هو (أنتَ) بأصواته جميعًا بما في ذلك الحرف (التاء) ليدلّ بحروفها كلّها على الخطاب (١٥).

والظاهر أنّ رأي علماء الكوفة هو الذي يلامس واقع اللغة المستعملة مؤيّدًا هذا بدراسة النقوش القديمة في العصر الحديث ، ففيها نجد مقاربات في الاستعمال اللغوي بين اللغات القديمة وبين اللغة العربية، فأصوات الضمير الآرامي القديمة: (ant) ويقصد بها: (أنتَ)، وكذلك الضمير الحبشي القديمة: (anta) ويعني: (أنتا)، وزد على ذلك اللغة العبرية القديمة، فضميرها (atta) الذي يعني (أتّا)، والضمير (atta) ويعني: (أَتَّا) أيضًا في لغة الآشوريين ولغة البابليين، تلك الضمائر كلّها قد احتفظت بصوت (التاء) منذ القدم في أصولها عند استعمالها الضمير المذكور سلفًا، وهذا يعني أنّه توجد مقاربة في الأصول بين تلك اللغات القديمة وبين العربية، وأنّ الكوفيين كانوا على قدر عالٍ من الصواب في رأيهم الذي أدلوا به في الضمير (أنتَ)(١٦).

٣- ألف الندبة زائدة:

ذهب علماء النحو إلى زيادة ألف الندبة في نحو: (واجعفراه)، و(وازيداه)، و(جعفر)، و(زيد) في موضع النصب، على أنّهما في تقدير المضموم؛ لأنّ كلاً منهما اسم معرفة ومفرد، بيد أنّ آخرهما جاء محرّكًا بالفتح من أجل مناسبة الألف في تركيب الندبة، وأمّا الهاء، فجيء بها لغرض السكت، وهي تسقط عند الوقف، وإنّما لحقته (وا) دون سواها؛ لأنّها تختصّ بالندبة، وكذلك من

أجل مد الصوت بها الذي يتطلّبه مقام الندبة[١٧]، وهذا كلّه ما جادت به قرائح النحويين لا غير، فلم يستشفّوا من كلام العرب غير هذا التأويل والتحليل لما سمّوه بالندبة.

بيد أنّه من طريق المقاربة بين تراكيب اللغات القديمة وتراكيب العربية فيما يخصّ أصول الندبة، تبيّن أنّ للندبة وشائج عريقة في اللغات القديمة الي سبقت العربية، إذ رأى من اختصّ بدارسة نقوش اللغات القديمة وآثارها أنّ ألف الندبة في العربية الفصحى هي عبارة عن ما تبقّى من أحرفِ النداء المكررة في اللغات القديمة، فمَنْ قال: يا جعفراهُ وغيره، هو بمثابة: يا جعفرُ يا، فإذا أطلتَ الصوت بالألف كثيرًا، فإنّه ينتهي نفَسُك بصوت الهاء، فقالَ: يا جعفراهُ، وكذا الحال في سائر الألفاظ التي تشابهه، ولا تستغرب من وجود حروف نداء متكرّرة في بعض الكلام، فهذا أمر مستساغ في اللغة، فقد يعمد إليه المتكلّم في أيّ لغةٍ من اللغات، من أجل أن يحقّق ما يصبو إليه من (التنبيه)، أي: تنبيه المخاطب لما آتٍ من الكلام، وهذا الأمر تجد له ما يقاربه في أصول اللغات القديمة الي سبقت العربية، ومن تلك اللغات اللغتان (الجعزية والحبشية)، فمن خلال التدقيق في أصولها عُثر على أنّ المتكلّم فيهما يأتي بحرف نداء قبل الاسم المنادى، ثمّ يشفعه بمن يناديه، وبعدها يلي الاسم المنادى حرفُ النداء الذي ذكره في أوّل الاسم، بمعنى أنّه يأتي به مكرّرًا في آخر المنادى، فقيل على سبيل التمثيل لا الحصر: (أو+ بيست + أو) في تراكيب تلك اللغتين، وهو بمعنى في أصل العربية (يا امرأة يا في العربية)، وقد يلجأ إلى حذف الألف من آخر حرف النداء الثاني، ليكون التركيب على الصورة الآتية: أَو بيستوا[١٨].

ويظهر من الكلام المتقدّم أنّ التركيب اللغوي للندبة في العربية، كانَت له وشائج صلة ومقاربة في اللغات القديمة الي سبقت العربية الفصحى، ثم أصابه تطوّر على مدى التأريخ والعصور بفعل التطوّر اللغوي للناطقين باللغة الذي لا تخلو منه لغة ما في العالم، وبعد ذلك وجد طريقه مستقرّا على الأصل الذي نستعمله الآن في اللغة الفصحى، وهذا الأمر كما لاحظت لم يفطن له علماء العربية القدماء، لذا حلّلوا تركيب الندبة بعيدًا عن أصول اللغات القديمة، ولم يتنبّهوا إلى وشائج الصلة والمقاربة بين عربيتهم وبين تلك اللغات.

٤ـ <u>تركيب (اللهُمَّ) بين النحت والأصالة:</u>

يستعمل لفظ الجلالة (الله) عزّ وجلّ بصورتين في أسلوب النداء، إحداهما: اللهمَّ، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾، [آل عمران: ٢٦]، وفي مثل هذه الصورة يجب حذف حرف النداء، ولا يصحّ ذكره، فلا يقال: (يا اللهمّ)، لعدم وروده في فصيح الكلام، والأخرى: (يا الله)، وهنا ينبغي ذكر حرف النداء (يا)، ويشذّ حذفه[١٩].

وقد تباينت آراء علماء البصرة والكوفة في أسلوب النداء (اللهُمَّ)، فرأى علماء البصرة ومنهم **سيبويه** أنّ أصل هذا الأسلوب هو (الله)، مختوم بالميم المشددة، التي نابت مناب حرف النداء (يا)، أمّا علماء الكوفة، فركنوا إلى كونها قد نحتت من قولهم: (يا الله أُمَّنا بخيرٍ)، بيد أنّه قد حذف منها قسم من أجزائها لكثرة الاستعمال فضلاً عن التخفيف[٢٠].

بيد أنّ العلم اللغوي المقارن يرجّح وجود مقاربة بين أصل النداء في تراكيب اللغات القديمة وبين لغتنا العربية، فتركيب أسلوب النداء (اللهمَّ) هو مقارب لـ(إلوهيم) في اللغة العبرية ومتطور عنه، ويقصد بـ (إلوهيم) الآلهة، والياء والميم في ذلك التركيب إمارة على الجمع، ولكنَّ الاستعمال

ISSN Print 1994 – 8999
ISSN Online 2664-469X

اللغوي يروم بها لفظ الجلالة (الله)، وما دلّ فيه على الجمع إنّما جاء ليؤدّي غرضًا وهو تعظيم الله سبحانه وتعالى[٢١].

((المبحث الثاني))

((المسائل الصرفية))

عثرنا في هذا الموضع من البحث على تراكيب صرفية، فيها خلاف بين علماء الصرف في تحليل تركيبها والاهتداء إلى جذورها، فلم يتوفقوا على تحليل وسط بينهما، بيد أنّ الدرس اللغوي المقارن الذي داب على دراسة النقوش القديمة للأقوام التي سبقت الناطقين باللغة العربية أثبت وجود نوع من المقاربة بين الأصول الصرفية في اللغة العربية وبين أصول اللغات القديمة، ومن خلال التحقيق فيها توصّلنا إلى وشائج صلة ومقاربة بين الأصول في تلك اللغات جميعًا، فيها تحليل مناسب لها بعيدًا عن آراء علماء العربية القدماء المثبتة في مدوّناتهم، وكان من بينها – مرتّبة على تسلسل الألفباء في العربية- الآتي:

<u>١- جذور بعض الأفعال الثلاثية بين الأصالة والافتراض:</u>

رأى فريق من علماء العربية أنّ الأفعال: (دانَ، وتلا، وبانَ)، أصولها هي: (دَيَنَ، وتَلَوَ، وبَيَنَ)، بيد أنّها لا استعمال لها في اللغة العربية، فهي من الأصول القياسية المفترض وجودها أو استعمالها[٢٢]، ولكنّ العربيَّ قديمًا عزف عن استعمالها لثقلها وطلب الخفة بالعدول عنها.

ويتبيّن عن طريق التتبع في الدراسات اللغوية الحديثة والمقارنة أنّ تلك الأصول أو الجذور التي قيل عنها إنّها مفترضة، ولا وجود لها في الاستعمالات اللغوية، قد وُجد أنّها مستعملة في اللغات القديمة، ومنها ألسنة الناطقين بالحبشية، فهم يقولون: في الفعل (بان) العربي: (بَيَنَ)، ومعناه: (تحقّقَ)، ويقولون في الفعل (رمى) العربي: (رَمَيَ) وهو يحمل المعنى نفسه في العربية، ويقولون في (دانَ): (دَيَنَ)، ولا يختلف معناه عن العربية أيضًا، و(رَمَيَ)، ويقولون في (تَلا) المستعمل في لغتنا العربية: (تَلَوَ) وبالمعنى نفسه أيضًا، وكلّ ذلك يشي بأنّ تلك الجذور أو الأصول المفترضة يوجد بينها وبين غيرها من اللغات القديمة وشائج صلة ومقاربة إلى حدّ بعيد، ممّا يعني ذلك أصالتها حقيقة، لا أنّها مفترضة ولا يوجد من نطق بها أو استعملها في لغته، وزد على ذلك أنّ العربية –في أغلب الظنّ- قد أخذت تلك الجذور أو الأصول من اللغات القديمة، وذوّبتها في تراكيبها ولكن بأصول جديدةٍ تناسب الناطقين بها، ابتغاءَ لليسر على اللسان، فضلاً عن الفرار من تتابع حركاتٍ ثلاثة متشابهة في الفعل سبّبت الثقل على اللسان[٢٣].

<u>٢- التفريقُ بينَ الأسماءِ المذكّرةِ والمؤنّثةِ:</u>

كان التفريق بين المذكّر والمؤنّث من المسائل التي لم تكن مستقرّة في استعمالهم اللغويّ، فقسم من اللغات القديمة، ومنها الجزَريّة لم تهتدِ في بداياتها إلى التفريق بين أجناس الأسماء المذكرة والمؤنثة، وعلى الرغم من التطوير الذي أصاب اللغات القديمة، ومنها هذه اللغة الجزرية، وكان فيها نوع استقرار للتفريق بين المذكّر والمؤنّث، إذ وجدت قسمًا من العلاماتِ كي تفرّق بين التأنيث والتذكير، فقد ظلّت فيها كلمات قلقة في استعمالهما على ألسنة المتكلّمين كي تفرّق بين الأسماء المذكّرة والمؤنّثة، وهي بهذا تلمحُ إلى بداياتها القديمة[٢٤].

وهذا الشأن القديم في اللغات الجزرية القديمة وسواها قد وجدنا فيه نوعًا من المقاربة بينه وبين لغتنا العربية الحديثة، فلغتنا الفصحى لم تسلم من ذلك، فضلاً عن أنّه قد استدعى خلافًا بين علماء العربية القدماء الذين حرصوا حرصًا كبيرًا على أن يصبّوا تراكيب اللغة في قواعد مستقرّة ومطّردة، لذا تجدهم قد ذهبوا إلى تذكير قسم من الأسماء المؤنثة؛ ومسوّغهم في ذلك أنّ الغالب فيها تذكيرها، وذهبوا كذلك إلى تأنيث قسم آخر من الأسماء المذكرة؛ معلّلين مذهبهم في ذلك بأنّ المشهور أو الأكثر التأنيث، لذا تجدهم قد حكموا على قسم من الشواهد الشعرية التي خالفت مبانيهم في التذكير والتأنيث بأنّها من قبيل الضرورة الشعرية.

وزد على ذلك أنّ علماء اللغة القدماء يبدو أنّهم لم يتنبّهوا إلى التغيير الحاصل في استعمال الأسماء المذكرة والمؤنثة له جذور ومقاربة بين تراكيب العربية وتراكيب اللغات القديمة جميعها، وأنّ الاستعمال اللغوي حينَما استقرّ على التمييز بينهما في تلك اللغات اختصّ قسم من ألفاظها بصيغة التأنيث عند لغة من لغات العرب، وبصيغة التذكير في لغات، وكذلك اختّص قسم منها بصيغة المؤنّث في لغة من لغات الجزَرية وبصيغة المذكّر في أخرى(٢٥).

ومثال ذلك لفظ (كف) التي حكم **الفراء (ت ٢٠٧هـ)** على أنّه مؤنث، ثمّ قال في استشهاد الأعشى به مُذكّرًا في قوله(٢٦):

أرى رجلاً منهم أَسِيفًا كأنّما يضمُّ إلى كَشْحَيهِ كفًّا مُخَضّبا

إنّه من قبيل الضرورة الشعرية(٢٧)، وإذا عملنا مقاربة مع اللغات القديمة، ومنها لغات الجزَريين على سبيل التمثيل لا الحصر، عثرنا على أنّ لفظ (كف) هو مؤنّث عند العبريين، والسريانيين، ومذكّر عند الآراميين، وعرفنا أنّه يستعمل مذكّرًا ومؤنّثًا في اللغة العربية، ولذلك لا داعيَ لجعل الاستشهاد به مذكرا في قول الأعشى من قبيل الضرورة الشعرية، والحكم جزمًا على تأنيثه(٢٨)، ويبدو أنّ ما جعل الفراء يحكم بما تقدّم، شيوع ذلك على ألسنة الناطقين بمختلف لهجات العرب، التي تميل في لفظ (كف) إلى جعله مؤنّثًا، فبعض العلماء اللغويين، ومنهم الفراء قد ذهبوا إلى صحراء البادية لكي يسمعوا من أفواه الناطقين بالعربية الفصحى وتدوين الملاحظات حولها، من أجل الإفادة في صياغة قواعد رصينة، تخدم المتعلّمين للغة العربية.

ويزاد على ما تقدّم العربية قد نهجت سبلاً متعدّدة للتفريق بين الأسماء المذكرة والمؤنثة، منها (الألف المقصورة) أو (الألف الممدودة)، أو (التاء) (٢٩)، وقد رأى الأستاذ **الدكتور إبراهيم السامرائي** أنّ تأنيث الألفاظ عن طريق إحدى علامات التأنيث المتقدّمة هو من الأمور الطارئة على اللغة العربية تأريخيًّا أسوة بغيرها من اللغات القديمة التي سبقتها، وأفضل برهان على هذا أنّ اللغة العربية قد بقيت محتفظة بمجموعة من الأسماء تعاهد الناطقون بها على استعمالها مذكرة أو مؤنّثة من غير الحاجة إلى استعمال إحدى العلامات فيها، نحو: الذراع، والأذن واليد وسواها(٣٠).

٣- همزة (اسم) عوض عن الواو:

لم يتفق علماء البصرة والكوفة على الهمزة في (اسم)، فرأى علماء البصرة أنّ همزة (اسم)، مشتقّةٌ من لفظ (السُمُوّ)، لذا تكون الألفُ فيه عِوَضًا عن الواو، وجنح علماء الكوفة إلى كون همزة (اسم) مشتقّةً من لفظ (الوسم)، فالألفُ فيه تكون عِوَضًا عن الواو أيضًا(٣١).

بيد أنّ الدرس اللغوي الحديث أوضح أنّ ما رآه علماء البصرة والكوفة لا يصمد أمام الحقيقة التأريخية المعضّدة بدراسة النقوش القديمة للغات التي سبقت العربية، ويظهر أنّ الذي أوهم العلماء من كلا المدرستين، هو التمسّك بقاعدته المشهورة من أنّ أصول الكلمات في العربية لابدّ من أن تكونَ ثلاثية لا غير، وهم حينَما أوّلوا أصلًا للهمزة في (اسم)، كانوا قد قدّروا أصلًا ثالثًا للفظ (اليد) و(الدم) وما أشبههما من الكلمات الثنائيّة، وقد ثبت عن طريق التحقيق والمقاربة بين تراكيب العربية واللغات القديمة أنّ هذه الكلمات الثنائية في اللغة العربية هي رواسب من مراحل لغوية متقدّمة على العربية، فـ(اسم) في اللغة العبرية (شِمْ)، و(شْما) في لغة الآراميين، والألف في آخر هذا اللفظ للتعريف، و(شُمْ) في لغة الأكديين، ويظهر هذا أنّ همزة (اسم) في اللغات القديمة ليست بأصلية، وأنّ هذه الكلمة أصلها ثنائيّ[٣٢]، بيد أنّ اللغة العربية قد عمدت إلى همزة الوصل فيها إصلاحًا للفظ؛ من أجل توافقها مع مبانيها الصرفية القائمة على ثلاثية أصول الكلمات في تراكيبها اللغوية.

٤- همزة (كأس) بين التحقيق والتسهيل:

ورد في الكُتُب اللغوية أنّ لفظ (كأس) يكتب بالهمزة محقّقة، أو يكون بالألف تسهيلاً، أي من غير التحقيق في الهمزة[٣٣]، وإذا سئل: أين تكمن الحقيقة؟، استطاع مَنْ يبحث عن تلك الحقيقة أنْ يعثر على حلّ لذلك السؤال عن طريق المقاربة والتحقيق بين العربية وغيرها من اللغات القديمة، فعن طريق ذلك سيجد أنّ هناك بعض القوانين الصوتيّة التي تحكم بين اللغة العربية واللغة الأكدية فيما اشتركَتا فيه من كلمات، فالكلمات العربية التي تحتوى على أصوات (الهمزة)، أو (الغين)، أو (العين) يقابلها أو يقاربها في لغة الأكديين [é]، وهو يقارب الصوت المكسور عن طريق الإمالة، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر لفظ [الغرب] في اللغة العربية هو على ضوء ذلك القانون الصوتي érbum، أي: [إيربوم] مع معرفة أنّ صوت الميم في هذا اللفظ يقابل التنوين في عربيّتنا، أي: إنّ صوت [um] في لغة الأكديين يقابل أو يقارب في العربية [un] ، ولفظ [الثعلب] يقارب [šélabum]، أي: [شيلَبُم]، ولفظ [الرأس] يقارب [réšum] يعني: [ريشم] [٣٤]، أمّا لفظ (الكأس)، فتعني عندي الأكديين [kásum]، أي: كاسم، ولو جرى على القانون، لأصبح: [kéšum]، أي: [كيشُم]، وهذا يبيّن أنّ صوت الهمز فيها غير أصلي، واللفظ يرجع فيجذره إلى السومريين، إذ جاءت في النقوش التي تعود إليهم وأُثِرَتْ عنهم، ولم تأتِ هذا اللفظ في نقوش اللغات القديمة التي تسبق اتصال متكلّمي الأكدية بأصحاب اللغة السومرية[٣٥].

ويستشفّ من ضوء ما ذُكر ضرورة البحث والتعمّق في اللغات القديمة التي سبقت العربية، وتلمّس التراكيب والجذور المتقاربة بينهما، فعلى مستوى مسائل الصرف – موضع النقاش- تبيّن أنّ الذي ذكر في شأن جذور الأفعال الثلاثية غير الخاضعة للقياس، وشأن همزة الوصل في (اسم)، والهمز في (كأس)، فضلاً عن المذكّر والمؤنّث، كلّ تلك المسائل قد وضحت حقيقتها من خلال المقاربة والتحقيق بين النقوش القديمة للغات التي سبقت العربية وتراكيبها المختلفة وبين تراكيب العربية وألفاظها العتيدة، ومن تلك المقاربة رأينا أنّ ثمّة وشائج بين اللغة العربية، وبين أخواتها القديمة، تلك الوشائج إنْ أهملت أو غُفل عنها، ابتعد البحث عن الرصانة العلمية والحقائق التأريخية، فلا مناصّ من الاستعانة بها، في قسم كبير من مسائل الصرف كما تقدّم ذكره وبيانه.

ISSN Print 1994 – 8999
ISSN Online 2664-469X

(المبحث الثالث)
((المسائل اللهجيّة))

توجد لهجات في كتب اللغة القديمة نسبت إلى بعض القبائل العربيّة، ولكن من غير معرفة سببها أو الأصل الذي انحدرت منه، بيد أنّه عن طريق الدراسات اللغوية المقارنة التي عنيت بدراسة النفوش القديمة، تبيّن أنّ تلك اللهجات العربية توجد بينها وبين اللغات القديمة وشائج صلة ومقاربة في الاستعمال اللغوي والتغيّر الصوتي، وسنذكر بعضًا منها - مرتّبة على وفق حروف نظام الألفباء- كشواهد على ذلك:

١ - الاستنطاء:

فحوى هذه اللهجة يتبلور في قلب حرف العين الساكن نونًا عندما يجاور حرف الطاء، وهذه الظاهرة اللهجيّة أرجعت إلى قسم من قبائل العرب، كالأنصار، وقيس، وهذيل، والأزد، وسعد بن بكر(٣٦)، نحو قراءة: **﴿إنّا أنطيناكَ الكوثرَ﴾**، التي نسبت إلى الرسول الأكرم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (٣٧)، وهي في قراءة حفص عن عاصم، أي: في القرآن الكريم: **﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾**، [الكوثر:١]، وكذلك نحو قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): **((لا مانعَ لما أنطيت، ولا منطي لما منعت))**(٣٨)، وقول الشاعر الأعشى(٣٩):

جيادُكَ في القيظِ في نعمةٍ تُصانُ الجلالُ وتنطي الشعيرا

هذه الظاهرة القديمة امتدّت جذورها إلى لغتنا اليومية، فينطق بعض المتكلمين بقوله: (انطي، وانطيتك، وانطينا...إلخ)، وقسم من الناس يقول: (نطني يدك)، أي: أعطني يدك، وعن طريق التتبع البسيط وجد أنّ قلب حرف العين الساكن نونًا عندما يجاور حرف الطاء، يقتصر على الفعل (أعطى) وما يشتق منه، لا أنّه يسع جميع الأفعال المشابه له في وزنها الصرفي.

ولكن بعض علماء العربية ذهب إلى أنّ (أعطى)، والفعل (انطى) كلّ منهما جذر أصيل مستقلّ بعينه عن الآخر، ولا إبدال صوتي بين أصواتهما؛ ودليل ذلك تصرّفهما معًا، قال **أبو حيان الأندلسي**: إنّ أَبا الْفَضْلِ الرَّازِيّ وَأَبا زَكَرِيَّا التبرزي قالا: إنْه قد أُبْدَلَ مِنَ حرف الْعَيْنِ نُونًا، فإن قصدا حرف النُّونَ فِي هَذِهِ اللُّغَةِ مَكَانَ حرف الْعَيْنِ فِي غَيْرِهَا فهذا مذهب حسن، وإن قصدا الْبَدَلَ الصِّنَاعِيَّ، فَلَيْسَ الأمر كما ذهبا، وإنّما كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ هاتين اللُّغَتَيْنِ أَصْلٌ قائمٌ بِنَفْسِهِ، وعلّة ذلك وُجُودُ تَمَامِ التَّصَرُّفِ مِنْ كُلِّ وَاحِدَ منهما، فَلَا يقالُ: الْأَصْلُ حرف الْعَيْن، ثُمَّ أُبْدِلَ منه حرفُ النُّونِ(٤٠).

وبعد النظر في طائفة من كتب اللغة الحديثة تبيّن أنّ هذه اللهجة العربية أو القبلية لها في اللغات القديمة التي سبقت العربية، فهناك وشائج صلة بينهما، فـ (أعطى) في اللغة العربية، هو (نتن) عند العبريين، وعند السريانيين (نتن) كذلك، بيد أنّ طريقة النطق تختلف عنه(٤١).

ورأى الأستاذ الدكتور **إبراهيم السامرائي** أنّ الفعل (أنطى) قد أخذ من الفعل (آتى)، ومعناه: (أعطى)، ثم حصل تضعيف في حرف التاء، فأصبح (أتّى)، وحينَما فُكَّ التشديد أو الإدغام، كان الفعل بصوت النون، على وفق قوانين اللغة العربية واللغات القديمة التي سبقتها من فكّ التشديد بصوت النون أحيانًا، كلفظ (جندلَ) من (جدّلَ)، وقد يُفكّ بلا نون(٤٢).

أمّا **الأستاذ (رابين)**، فذهب إلى أنّ (أعطى) في العربية هو عند العبريين (نطى)، وعند الأمهريين (أمطى)، وعند الآراميين والأثيوبيين (مطى)، لذا جنح إلى ربط (أعطى) الفعل العربي، بـ (نطى) عند العبريين، وبـ (أمطى) عند الأمهريين، وبـ (مطى) في لغة الآراميين والأثيوبيين، فضلاً عن أنّه حاول أنْ يجد صلة أو وشائج بينَ فعل العربية (أمطى الظهر)، ومعناه: (أعطاه مطية)، وما يُشابه هذا عند الحبشيين، والأمهريين(٤٣).

بيد أنّ **الدكتور رمضان عبد التوّاب** رأيًا خاصًّا تمثّل بأنّ ظاهرة الاستنطاء أتتنا من نحت لفظينِ ساميينِ: أحدهما من السريانيين (nettal)، والآخر من العبريين (nata)، فأخذ فاء اللفظ (انطى) من السريانيين والعبريين، مع إبقاء عينهما كما في اللغة العربية(٤٤). وإيجاد وشائج صلة أو مقاربة بين تراكيب العربية وبين غيرها من اللغات التي سبقتها والإفادة في الدراسة والتحليل وتفسير الظواهر اللغوية، ولا سيما في الفعل (أعطى) هو الأقرب إلى الواقع اللغوي المستعمل؛ لانسلال عربيتنا من تلك اللغات التي ذكرت سلفًا.

٢- التلتلة:

نسب **سيبويه (ت ١٨٠هـ)** هذه اللهجة إلى قبائل العرب جميعها سوى القبائل الحجازية، ويقصد بها كسر حرف المضارعة عند تلك القبائل، فقد صرّح سيبويه بذلك: في ((هذا باب تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة،...، وذلك في لغة جميع العرب إلّا أهل الحجاز، وذلك قولهم: أنت تِعلم ذاك، وأنا إِعلم، وهي تِعلم، ونحن نِعلم ذاك. وكذلك كل شيء فيه فَعِلَ من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين، والمضاعف. وذلك قولك: شقيتُ فأنت تِشقى، وخشيت فأنا إِخشى، وخلنا فنحن نِخال، وعَضِضتن فأنتن تِعضِضن وأنت تِعضين)) (٤٥).

وقد نسبها **ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ)** إلى بهراء، إذ قال: وأمّا التلتلة عند قبيلة بهراء، فإنّها تقولُ: تِصنعون وتِعلمون أي: كسر أوائل حروف المضارعة(٤٦).

ويظهر –عن طريق التتبع في الدراسات التي عنيت بالنقوش القديمة ومقاربتها مع العربية- أنّ كسر أوائل الأفعال المضارعة ظاهرة قديمة، لها جذور وتراكيب في اللغات الحبشية، والسريانية والعبرية(٤٧)، فقد ذكر **الدكتور إبراهيم أنيس** أنّ الأصلَ في حركة حروف المضارعة، هو ما كان شائعًا في لهجات الحجازيين من حركة الفتح في الحالات كلّها، وقد انسلّ هذا الأصلُ إلى الحجازيين من لغة الساميين تمّ أصابه تطوّر تمثّل بالكسر في معظمِ اللغات (٤٨).

ورأى **الدكتور رمضان عبد التواب** أنّ فتح أوائل الأفعال المضارعة حادِثٌ في اللغة العربية القديمة، ودليل ذلك أنّه لم يكن موجودًا في لغات الساميين الأخر، وكذلك ما تبقّى من حركة الكسر في قسم من اللهجات العربية القديمة(٤٩).

وذهب **الأستاذ بروكلمان** إلى أنّ الأصلَ في أوائل الأفعال المضارعة هو حركة الفتح، ثم جاءت حركة الكسر بعد ذلك في اللغات القديمة، إلّا أنّ حركة الفتح قد ظهرت من جديد في اللغة العربية مطلقًا، ولم يكن وجود للكسر إلّا في بعض اللهجات (٥٠).

ويظهر أنّ ما اصطلح عليه بالتلتلة قد انسلّ وتغلغل إلى تراكيب بعض اللهجات العربية عن طريق تراكيب اللغات القديمة للتشابه الحاصل بينهما، ذلك التغلغل حدث نتيجة الاحتكاك اللغوي بين الأجيال المتعاقبة.

٣ـ الفحفحة:

عُزيت الفحفحة إلى قبيلتي ثقيف وهُذيل، تلك اللهجة تمثّلت بقلب حرف الحاء عينًا[٥١]، كقراءة ابن مسعود: **﴿عتّى حين﴾**، **في**: **﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾**، [يوسف:٣٥]، التي ذكر فيها **الزمخشري (ت٥٣٨هـ)**: أنّها لغة هُذيل، وقد سُمع رجل يقرأ «عتّى حين» فقيل له: من أقرأك هذا؟، فأجاب: ابن مسعود [٥٢].

وكذلك نحو ما نُقل عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أنه كان يقرأ بالعين: **﴿وطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾** بدلاً من الحاء في قوله تعالى: **﴿وطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾**، [الواقعة: ٢٩]، وقيل قد قرأ أحدهم عند عليّ (عليه السلام): **﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾** ، فقال له (عليه السلام): ما شأن الطلح؟، إنما هو: **﴿وطَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾**، أي: بالعين بدلاً من الحاء[٥٣].

وقد ذهب **الدكتور إسماعيل خليل** إلى أنّه من السهل أن نفسّر قلب حرف الحاء إلى عين، ودليله في ذلك أنّهما من الأصوات الحلقية، ولا يفرّق بينهما سوى الهمس في الحاء والجهر في العين، ولا يحتاج التناوب بين أحرف الحلق إلى كثير من التفسير والايضاح[٥٤].

ويبدو أنّ قلب حرف الحاءِ إلى حرف العين في لفظ (حتى) قد وجد لهُ آثار ومقاربة في اللغات القديمة التي سبقت العربية، وذلك بفضل الدرس اللغوي المقارن، فـ (حتّى) هي: (عَدْ) عند العبريين، وعند الآراميين كذلك[٥٥]. وذهب **الأستاذ رابين** إلى أنّ (عتّى) في لغة قبيلة الهذليين، هي في الواقع قد نحتت من (حتى) في اللغة العربية، و(عَدى) أو (عَدْ)، التي وجدت عند السبئيين[٥٦].

فما تقدّم ذكره في الظواهر اللهجيّة كلّها يؤكّد أنّ هناك صلات ومقاربة بين تراكيب اللغة العربية وبين تراكيب اللغات القديمة، وأنّ تلك الظواهر في العربية قد انحدرت من أخواتها في اللغات التي سبقتها، توارثتها الأجيال قرنًا بعد قرن، عن طريق الاحتكاك اللغوي بينهم، ولا تخلو اللغة اليومية من تلك الظواهر جميعها التي ممّا يعني هذا أنّها قد وصلت إلى لسان الناطقين بها من لهجات أجدادهم وآبائهم من غير أنْ يحسّوا بهذا، فهم يتحدثون على وفق السليقة اللغوية، ولا دخل لهم بتلك المصطلحات التي اصطلح عليها علماء اللغة بـلغات العرب، أو اللهجات العربية.

الخاتمة

وبعد البحث والمناقشة في مسائل هذا البحث، أسجل الآن أبرز نتائجه:

١ـ إنّ المسائل النحوية والصرفية واللهجية العربية كثير منها كانت ذا جذور وتراكيب تشابه الجذور والتراكيب في اللغات القديمة ومقاربة لها في بعض الأحيان.

٢ـ إنَّ لغتنا العربية الفصحى قد أحدث بعض التغييرات على التراكيب اللغوية القديمة وطورتها إلى أنْ اتّخذت فيها صيغًا تناسب نظامها اللغوي، ومن ذلك أسلوب النداء وغيره.

٣- ظلّت بعض الأدوات في اللغات القديمة على صيغتها نفسها في اللغة العربية، ومنها أداة التعريف (ال) وسواها.
٤- عن طريق الدرس اللغوي المقارن تبيّن أنّ آراء مدرسة الكوفة كانَت أكثر صوابًا أو رجحانًا أو قربًا للواقع اللغوي من آراء مدرسة البصرة في طائفة من المسائل النحوية والصرفية واللهجية، وهذا يدلّ على سعة اطلاعهم وثقافتهم وعمق استدلالهم وتحليلهم اللغوي أكثر من غيرهم.
٥- تلمسنا علامات أو إمارات في مدونات علماء النحو والصرف واللهجات، فيه دلالة واضحة على أنّ هؤلاء العلماء كان لديهم قبسات وشذرات علمية على وجود وشائج وتراكيب فيها مقاربة بين اللغة العربية وسواها من اللغات القديمة التي ذكرت أنواعها في متن البحث.

الهوامش:

(١) ينظر: فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب: ٢٥، وتاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون: ٢- ٣.

(٢) العين: ٥٢/٤، وينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٦٤.

(٣) ينظر: فصول في فقه العربية: ٤٣.

(٤) ينظر البحر المحيط: ٤/ ٥٥٩-٥٦٠.

(٥) ينظر: مناهج البحث اللغوي، للدكتور العزاوي: ١٧٧.

(٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٣٢٤، وشرح كتاب سيبويه، للسيرافي: ١/ ٤٣، وشرح قطر الندى، لابن هشام الأنصاري: ١٢٣.

(٧) ينظر: شرح قطر الندى: ١٢٣.

(٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٣٢٤.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٠) ينظر: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة: ١٨٧.

(١١) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في العربية: ١٢٤-١٢٦.

(١٣) ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي: ٢/ ٩٢٧.

(١٤) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٧١.

(١٥) ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢/ ٩٢٧.

(١٦) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٧٤.

(١٧) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٢٧، والأصول في النحو: ٣٥٥/١-٣٥٦، وشرح المفصّل، لابن يعيش: ١/ ٣٢٥.

(١٨) ينظر: المستشرقون والمناهج اللغوية: ٦٩.

(١٩) ينظر: شرح المفصّل: ١/ ٣٦٧، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٢٦٥.

(٢٠) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢٧٩- ٢٨١، [المسألة ٤٧].

(٢١) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٨١.

(٢٢) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: ٥/ ١٢٠.

(٢٣) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤١٨.

(٢٤) ينظر: التطور اللغوي: ١١٢-١١٣.

(٢٥) ينظر: ظاهرة التأنيث: ١٧-١٨؛ و٣١.

(٢٦) ديوانه: ١١٥.

(٢٧) ينظر: المذكر والمؤنث: ١٧.

(٢٨) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٨٥-٤٨٦.

(٢٩) مناهج البحث في اللغة: ٢٥٠.

(٣٠) ينظر: النحو العربي نقد وبناء: ١٤٣.
(٣١) ينظر: الإنصاف: ٨/١. [المسألة الأولى].
(٣٢) ينظر: مناهج البحث اللغوي:١٨٤، والدراسات اللغوية عند العرب: ٤٨١.
(٣٣) ينظر: لسان العرب (كأس): ١٨٨/٦؛ وتاج العروس، للزبيدي: ٤٢٣/١٦.
(٣٤) ينظر: المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: ٧٤.
(٣٥) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها، والأكدية العربية، للدكتور علي فهمي خشيم: ٦٦؛
(٣٦) ينظر: المزهر في علوم اللغة، للسيوطي: ١٧٦/١.
(٣٧) ينظر: إعراب القراءات السبع، لابن خالويه: ٥٤٨، والمزهر في علوم اللغة، للسيوطي: ١٧٦/١.
(٣٨) ينظر: تفسير الثعلبي: ١/ ٣٠٨.
(٣٩) ينظر: كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي: ٣١٨/٢، وفي الديوان: ١٤٩.
(٤٠) ينظر البحر المحيط: ١٠/ ٥٥٦.
(٤١) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٧٥- ٤٧٦.
(٤٢) يُنظر: دراسات في اللغة: ٢١٧.
(٤٣) يُنظر: العربية ولهجاتها، للدكتور عبد الرحمن أيوب: ٥١.
(٤٤) يُنظر: فصول في فقه العربية: ١١٢.
(٤٥) شرح كتاب سيبويه، للسيرافي: ٤/ ٤٨٦.
(٤٦) ينظر سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٤٢.
(٤٧) ينظر: اللهجات العربية في التراث، لأحمد علم الدين الجندي: ١/ ٣٩٧.
(٤٨) ينظر في اللهجات العربية: ١٤٠.
(٤٩) ينظر: فصول في فقه اللغة: ١٢٥.
(٥٠) ينظر فقه اللغات السامية: ١١٦.
(٥١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي: ٦/ ٢٤١٨.
(٥٢) ينظر الكشاف: ٢/ ٤٦٨.
(٥٣) ينظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ١١١.
(٥٤) ينظر: المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة: ٧٦.
(٥٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٥.
(٥٦) ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م.
- الأكدية العربية، للدكتور علي فهمي خشيم، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري(ت٥٧٧ه)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٢٨ه- ٢٠٠٧م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ه)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.
- تأريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون، ط١، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ١٩٢٩م.
- التطور اللغوي للغة العربية، براجشتراسر، أخرجه الدكتور رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٤ه- ١٩٩٤م.
- تفسير الثعلبي(ت٤٢٧ه)، تحقيق: ابن عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، للدكتور محمد حسين آل ياسين، بيروت (د.ت).
- دراسات في اللغة، للدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٠م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤ه- ٢٠٠٤م.
- ظاهرة الإعراب في العربية، مدخل فيلولوجي، للدكتور غالب فاضل المطلبي، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م.
- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، دراسة لغوية تأصيلية، للدكتور اسماعيل أحمد عمايرة، ط٢، دار حنين، عمان١٩٩٢م.
- العربية ولهجاتها، للدكتور عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠ه)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
- فصول في فقه اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.

- فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، ١٣٩٧ه- ١٩٧٧م.
- كتاب الإبدال، لعبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي أبي الطيّب، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- لسان العرب، لابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣- ١٤١٤ ه.
- اللهجات العربية في التراث، للدكتور أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب- تونس ١٩٧٨م.
- المذكر والمؤنث، للفراء(ت٢٠٧ه)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- المستشرقون والمناهج اللغوية الحديثة للدكتور اسماعيل أحمد عمايرة، ط٢، دار حنين، عمان- الأردن، ١٩٩٢م.
- المقتضب، للمبرد(ت٢٨٥ه)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م.
- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، للدكتور نعمة رحيم العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٢١ه- ٢٠٠١م.
- النحو العربي نقد وبناء، للدكتور إبراهيم السامرائي، دار الصادق، بيروت ١٩٦٨م.